

الأدوار في معرفة النغم والأدوار صفى الدين الأرموى

بمقام
الدكتور محمود احمد الحنفى

كان كل منهم بمثابة موسوعة متنقلة ، لا يخطئها باب من المعرفة ولا يفوتها لون من الثقافة والدراسة :

وكل هذه المعاني والوسائل كانت زاداً لتخصصه في الموسيقى التي أتقنها علماً وأداءً ، وبلغ فيها القمة التي لم يستطع أحد من معاصريه أن يرقى إلى ذروتها .
ولم إليه يرجع الفضل في ضبط الأنغام والأدوار على الآلات وبدونها وفي إحكام القواعد النظرية . كما أنه يعد في الصدارة من علماء العرب الذين استكملوا طرائق ضبط تدوين النغمات الموسيقية ، مما يعرف في عصرنا الحديث بعلم « النوتة » . وعلى قدر مكانته من الناحية العلمية فقد كان يعد كذلك من أمهر العازفين بالعود .
ورد في بعض مراجع القرن الثامن الهجري في وصفه ما نصه (١) :

« حدثني جماعة ثابتو العدالة ، مسموعو القول ، من أهل زماننا هذا أنهم حضروا مع الشيخ الإمام العالم العلامة قدوة هذه الصناعة أولاً وآخرأ ، الشيخ صفى الدين عبد المؤمن — طاب ثراه — ببستان في بغداد ، وهو يضرب

هو صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموى البغدادى . والأرموى نسبة إلى أرمية مسقط رأس أجداده وموطن أسلافه ، وأطلق عليها بعد ذلك اسم « رضائية » وهي بلدة في أذربيجان على بعد ٩٢١ كم غربي طهران ، ٢٩٣ كم جنوبي غربي تبريز . أما كونه بغدادياً فلأنه ولد بمدينة بغداد حوالي عام ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) ، وقيل إنه وفد إليها في أول نشأته . وعلى أى حال فقد كانت مدرج طفولته ومعهد ثقافته ، ألم فيها بعلوم زمانه وفنون عصره ، ونال أوفر قسط من هذه الدراسات الأدبية والفنية حتى أصبح في الطليعة من الأعلام وفي مكان الصدارة بين العلماء الأفذاذ . قد ضرب في العلوم الرياضية بسهم وافر وأحاط من التاريخ بسجل حوادثه إجمالاً وتفصيلاً . ثم نراه بعد ذلك يتقدم الصفوف في إجادة رسم الكتابة العربية ، فكان يعتبر في حسن الخط أبرز معاصريه ، تعتمد عليه أمراء الدولة وكبارها وأعيانها في نسخ المصاحف وكتابة الوثائق القيمة وكل ما يتطلب الإجادة والوضوح :

وهكذا كان صفى الدين نجماً لامعاً وصورة صادقة ومرآة تتجلى فيها البيئة بكل خبرتها ومعارفها في ذلك العصر ، شأن علماء زمانه وأفذاذ عصره الذين

(١) مخطوط محفوظ بمكتبة أوقاف بغداد رقم ٥٦٤١ .

بالعود أن هزارا (طائر صداح) أتى لحسن النغم حتى سقط على غصن قبالة وجهه ، ثم طار ونزل إلى الأرض وهو يرقل بجناحيه ويصيح ، ولم يزل يفعل ذلك ، ويقرب منه قليلا قليلا حتى صار بين الجماعة . ومعظم الجماعة باقون إلى يومنا هذا .

وقد أدرك المستعصم (١٢٤٣ - ١٢٥٨ م) خاتمة خلفاء الدولة العباسية ، والتحق بخدمته في أواخر أيام خلافته . فقربه إليه واتخذ منه نديماً ، وسلم إليه مفاتيح خزانة كتبه وأذن له بنسخ ما يريده منها . وقد جاءت معرفة الخليفة به عن طريق مغنية بارعة الحسن تسمى « لحاظ » . ويقرن اسمها دائماً باسم أستاذها ومربها صفى الدين . ومما ترجمه لها صاحب المسالك قوله :

« سحرت فقيلاً لحاظ ، وملأت نفس كل عاشق فغاظ . طالما تجلبت فجلت الهموم ، وغنت فاقنادت القلب المزموم . وبرزت فتنة للأنام ، ومحنة للمستهام . إلا أنها لو تقدمت زماناً ، كما لو تقدمت افتناناً ، لأرخصت دنائير^(١) ، وصرفت عنانا^(٢) ، وأعربت بما لم تدع لعريب^(٣) امتنانا .

وكانت لحاظ تلازم مجلس الخليفة المستعصم . غنت يوماً أمامه فأعجبه لحنها وسألها عنه فقالت إنه لأستاذها صفى الدين . فأمر باستدعائه فلما قدم عليه وجد فيه الخليفة الفنان العبقري النابه والحدث اللبق الرقيق والموسيقار الفذ ، فأدناه منه واصطفاه لمناذمته ، حتى أصبح عنده أقرب الندماء . وقد ربط له راتباً سنوياً يقدر بخمسة آلاف دينار ، عدا ما كان ينعم به عليه ، وكذا ما كان يحصل عليه من الناس مقابل الشفاعات وقضاء المصالح لهم .

(١) ، (٢) ، (٣) دنائير وعنان وعريب نجوم الموسيقى والغناء من جواري خلفاء العصر العباسي الأول .

وحين غزا المغول بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) قتلوا الخليفة المستعصم ، وأصابوا بالإحراق والإتلاف كل ما في المدينة . ولم ينج من التخريب فيها كالملا الحى الذى كان يقيم فيه صفى الدين ، فقد استطاع بحذقه وحسن لباقته وعمق إدراكه وسعة حياته وقوة فنه أن ينجو به من الخراب والدمار . ذلك أن هولاءكو ملك المغول حين سقطت بغداد في قبضة يده قسم دروبها ومحالها وذوى الثراء فيها بين أمراء دولته . كل يفعل في حصته ما يشاء من الأسر والقتل والنهب . ووقع الدرب الذى كان يسكنه صفى الدين في حصّة أمير على رأس عشرة آلاف فارس اسمه « بانوا نوين » واجتمع في دار الفنان خلق كثير من ذوى اليسار ، ونحو خمسين فرقة من أعلام الغناء والعزف وطائفة كبيرة من ربّات الحسن الشائق والجمال الفاتن من الجوارى المغنيات . فوقف « بانوا نوين » ورجاله على مدخل الدرب وقد سد بالأخشاب والحجارة ، فطوقوا الحى وأمروا أهله بفتح الباب ولما أحرقوهم وأبادوهم . ولندع صفى الدين نفسه يمضى في رواية القصة فيقول :

« قلت أنا أخرج إليه . ففتحت الباب ، وخرجت إليه وحدى وعلى ثياب وسخة ، وأنا أنتظر الموت . فقبلت الأرض بين يديه فقال للرجلان : قل له من أنت ؟ كبير هذا القوم الذى فى الدرب ؟ قلت نعم . فقال : إذا أردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا . وطلب شيئاً كبيراً . فقبلت الأرض مرة ثانية ، وقلت : كل ما طلب الأمير يحضر ، وقد صار كل ما فى هذا الدرب بحكمك . فمر جيوشك يهبون باقى الدروب وانزل حتى أضيفك ومن تريد من خواصك ، فأجمع لك كل ما طلبت . . فشاور أصحابه ونزل فى نحو ثلاثين رجلاً . فأتيت به دارى ، وفرشت له الفرش الخلفية الفاخرة والستور المطرزة بالزركش ،

وأحضرت له في الحال أطعمة قلايا وشوايا وحلو . وأكلت بين يديه ششني . فلما فرغ من الأكل عملت له مجلساً موكياً . وأحضرت له الأواني المذهبة من الزجاج الجلي وأواني فضة فيها شراب مروق . فلما دارت الأقداح وسكر قليلاً اخترت عشر جوق مغاني كلهن نساء ، كل جوقه تغني بملهاة (أي آلة طرب) غير ملهاة الأخرى . وأمرتهم فغنوا كلهم على ساز واحد (أي لحن واحد) ، فارتج المجلس وطرب وانبسطن نفسه ، وضم واحدة من المغنيات أعجيبته ^(١) . وتم يومه في غاية الطيبة . فلما كان وقت العصر حضر أصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولأصحابه الذين كانوا معه تحفاً جليلاً من أواني الذهب والفضة ومن الأقمشة الفاخرة شيئاً كثيراً سوى العليق وهبات العوانية الذين كانوا بين يديه . واعتذرت من التقصير ، وقلت : جاء الأمير على غفلة ، لكن غداً إن شاء الله أعمل للأمير دعوة أحسن من هذه . فركب ، وقبلت ركابه ، ورجعت . فجمعت أهل الدرب من أهل اليسار وقلت لهم انظروا لأنفسكم ، هذا الرجل غداً عندي ، وبعد غد ، وكل يوم أريد أضعاف اليوم المتقدم . فجمعوا لي من بينهم ما يساوي خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والأقمشة الفاخرة والسلاح . فما طلعت الشمس إلا وقد وافاني . فرأى ما أذهله . جاء في هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت إليه ولنسائه من الذخائر والذهب والنقد ما قيمته عشرون ألف دينار .

«وقدمت له في اليوم الثالث لآلىء نفيسة وجواهر ثمينة وبغلة جليلاً بآلات خليفية . فقلت هذه مراكب الخليفة . وقدمت لجميع من معه . وقلت : هذا الدرب قد صار بحكمك فان تصدقت على أهله بأرواحهم . فقال : عرفت ذلك ومن أول يوم وهبهم أرواحهم ، وما حدثتني نفسي بقتلهم ولا سبيهم ،

(١) وجاء في النص ما يفيد أن الأمير استباحها في المجلس .

لكن أنت تجهز معي إلى حضرة الخان فقد ذكرت لك له وقدمت شيئاً من المستظرفات التي قدمتها لي فأعجيبته ورسم بحضورك . فخنفت على نفسي وعلى أهل الدرب . وقلت هذا يخرجني إلى خارج بغداد ويقتلني وينهب الدرب . فظهر على الخوف ، وقلت : يا خوند ! هولاءكو ملك كبير ، وأنا رجل حقير ، فاني أخشى منه ومن هيئته . فقال : لا تخف ما يصيبك إلا الخير ، فانه رجل يحب أهل الفضائل . فقلت : أنا في ضمانك أنه لا يصيبني مكروه . قال نعم . فقلت لأهل الدرب هاتوا ما عندكم من النفائس ، فأتوني كل ما تقدرون عليه من المقتنيات الجلييلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة .

«وهيأت ماكل كثيرة طيبة وشراباً عتيقاً فائقاً ، وأواني فاخرة كلها من الذهب والفضة المنقوشة . وأخذت معي ثلاث جوق مغاني من أجمل من كان عندي وأتقنهن للضرب . ولبست بدلة من القماش الخلفي ، وركبت بغلة جلييلة كنت أركبها إذا رحت إلى الخليفة . فلما رأي « بانوانوين » هذه الحالة قال لي : أنت وزير ؟ قلت : بل أنا مغني الخليفة ونديمه ، لكن لما خفت منك لبست هذه الثياب المقطعة الوسخة ، ولما صرت من رعييتك أظهرت نعمتي وأمنت ، وهذا الملك هولاءكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغي أن أدخل عليه إلا بالحشمة والوقار .

«فأعجبه مني هذا . وخرجت معه إلى مخيم هولاءكو . فدخل عليه ، وأدخلني معه . وقال لهولاءكو هذا الرجل الذي ذكرته ، وأشار إلى . فلما وقعت عين هولاءكو على قبلت الأرض ، وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتار . فقال له « بانوا نوين » هذا مغني الخليفة ، وقد فعل معي كذا وكذا ، وقد أتاني بهدية . فقال : أقيموه . فأقاموني . فقبلت الأرض مرة ثانية ودعوت له . وقدمت له ولخواصه الهدايا التي

كانت معي . فكلما قدمت شيئاً سأله عنه ، ثم يفرقه . ثم فعل بالمأكل كذلك . ثم قال لي : أنت كنت مغني الخليفة ؟ فقلت : نعم . فقال : ايش أجود ما تعرف في علم الطرب ؟ فقلت : أحسن أغني غناء إذا سمعه الإنسان ينام . فقال : فغن لي الساعة حتى أنام . فندمت ، وقلت إن غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب ، وربما قتلني ، ولا بد لي من الخلاص منها بحيلة . فقلت : يا خوند ! الطرب بأوتار العود لا يطيب إلا على شرب الخمر ، ولا بأس أن يشرب الملك قدحين ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه .

« فقال : أنا ما لي في الخمر رغبة لأنه يشغلني عن مصالح ملكي ، ولقد أعجبني من نبيكم تحريره . ثم شرب ثلاثة أقذاح كبار . فلما احمر وجهه أخذت منه دستوراً (أي إذناً) وغنيت له . وكان معي مغنية اسمها « صبا » لم يكن في بغداد أحسن منها صورة ولا أطيب صوتاً . فأصلحت أنغام العود على إنعام ، وضربت جالبة للنوم مع زم رخم للصوت ، وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس . فقطعت الغناء بغتة ، وقويت ضرب الأوتار ، فأنقته . فقبلت الأرض ، وقلت : نام الملك . فقال : صدقت ، أنمت ، تمن على . فقلت : أتمنى على الملك أن يطلق لي « السميكة » . فقال : وأى السميكة شئ هي ؟ قلت : بستان كان للخليفة . فتبسم وقال لأصحابه : هذا مسكين ! بمعنى قصير الهمة . وقال للترجان : لم لا تمنيت قلعة أو مدينة ! إيش هو بستان ! ! فقبلت الأرض . وقلت : يا ملك هذا البستان يكفى ، وأنا ما يجي مني أن أكون صاحب قلعة ولا مدينة . فرسم لي بالبستان ، وبجميع ما كان لي من المرتب أيام الخليفة . وزادني علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوي دينارين ، وكتب لي بذلك

« فرمان » مكمل العلام . وخرجت من بين يديه . وأخذ لي « بانوا نوين » منه أميراً بخمسين فارساً ، ومعهم علم أسود هو كان علم هولاء الخصاص به ، برسم حماية دربي . فجلس الأمير على رأس الدرب إلى أن رحل هولاء عن بغداد » . انتهى .

وقد أسند هولاء إلى صفى الدين نظارة الأوقاف بجميع العراق ، وربط له ضعف ما كان يتقاضاه من الخليفة . . .

وهكذا يحدثنا صفى الدين عن منزلة الموسيقى وتأثيرها ، وكيف كانت لأهل درب من دروب بغداد طريق النجاة من القتل والنهب والسلب والسبي والإبادة والتخريب . كما يقدم لنا حديثه صورة جلية عن ثراء بغداد وما كانت تحتويه من كنوز ونفائس ، وإن المرء لتأخذ الدهشة والعجب لتوافر هذه الكثرة من الفرق الموسيقية التي احتواها بيت صفى الدين وتنوع آلاتهم ومهارتهم في العزف والغناء . ثم لا ننسى هذه الرغبة المتواضعة الدالة على القناعة والزهد ، ذلك حين يطلب هولاء كولي صفى الدين أن يتمنى . فيكون كل ما تمناه بستاناً يستظل بزهرة ويغني مع طيوره ، لا قلعة ولا حصناً ولا مدينة . وقد دل مع رغبته المناسبة لفنه على سياسة تظهر حنكته وقلة طمعه أمام الملك الغازي ، مما يدل على تمتعه بأكبر قسط من الحكمة وبعد النظر .

* * *

عاصر صفى الدين عهداً ثلاثة كان موضع تكريمها جميعاً ، كان آخرها أسرة الجوينيين ، ولم تكن مكانته من الإكرام فيها تقل عنها عند الخليفة المستعصم أو عند هولاء خان وأتباعه . فانه بعد خروج التتار من بغداد اتصل بعلاء الدين عطالله الملك

٣ - الإيقاع (بالفارسية) وقد نقلت هذه الرسالة من الفارسية إلى العربية باسم « الدر النقي في علم الموسيقى » نقلها أحمد بن عبد الرحمن الموصلي .

٤ - الكافي من الشافى .

٥ - العروض والقوافى والبديع .

الرسالة الشرفية

كتبها صفى الدين برسم خزانة تلميذه شرف الدين هارون الجوينى . وقد بدأ كتابتها فى العهد المغولى وانتهى منها حوالى عام ١٢٦٧ م . ومن أهم النسخ المحفوظة من هذه الرسالة فى دور المكتبات العامة من الناحية التاريخية النسخة التى كانت محفوظة بمكتبة برلين حتى الحرب العالمية الثانية حيث نقلت هذه المخطوطات العربية إلى مكتبة مدينة ماربورج ومكتبة مدينة جيتنجن فى جمهورية ألمانيا الاتحادية (الغربية) . وهذه المخطوطة مؤرخة سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م) أى قبل وفاة صفى الدين بتسع عشرة سنة ، وتعد من أقدم النسخ التى كتبت فى حياة مؤلفها . وقد أورد فى مقدمة هذه الرسالة قوله : « لأنها تشتمل على النسب التأليفية على نهج استنبطه القدماء من حكماء اليونان مضافاً إلى زيادات نافعة لم أجدها فى شيء من مؤلفاتهم ولا فى شيء من كتب المحدثين من بعدهم .

وفى رسالته هذه أشار إلى كتابه « الأدوار فى معرفة النغم والأدوار » ، كما نقل فيها عن أبى نصر الفارابى وعن الشيخ الرئيس ابن سينا .

* * *

كتاب الأدوار فى معرفة النغم والأدوار

يعتبر هذا الكتاب من ذخائر التراث الموسيقى ، ومن أهم المصنفات العربية وأوفاهها فى معرفة النغم ونسب الأبعاد وأدوار الإيقاع . وهو ذاخر بالمصطلحات

الجوينى وأخيه شمس الدين محمد ، وولى فى زمانهما كتابة الإنشاء ببغداد . وقد نال من النعم المتواصلة والترف العظيم ما لم يتمتع بمثله غير سلفه اسحاق الموصلى فى العصر العباسى الأول .

ولكن صفى الدين أدركه ما كان يدرك السواد الأعظم من الفنانين من إسراف ومتعة أيام الرخاء ينسى فى ظلالها التفكير فيما عسى أن تكشف عنه أيامه المقبلة من الشيخوخة والحرمان وانقطاع المورد .

لم يفكر صفى الدين أيام شبابه وفنه وثرائه فى كل العهود الثلاثة التى مر بها أن يحبس شيئاً من ماله لمواجهة تقلبات الزمن ، حتى إذا سقطت دولة الجوينيين عام ١٢٨٤ م سقط معها حظه وأفل نجمه حتى نراه يقول عن نفسه :

« زالت سعادتى وتقهقرت إلى وراء فى عمرى ورزقى وعيشى ، وعلتنى الديون ، وصار لى أولاد وأولاد أولاد ، وكبرت سنى وعجزت عن السعى » . وقد دار به الزمن دورته حتى سجن وفاء لدين كان عليه يقدر بثلاثمائة دينار .

آثاره ونصائفه

اخترع صفى الدين آلتين موسيقيتين هما :

- ١ - الزهة وهى نوع من القانون .
- ٢ - المغنى (بضم الميم وسكون الغين) وهو عود مقوس .

أما مصنفاته من الكتب فهى :

- ١ - كتاب الأدوار فى معرفة النغم والأدوار .
- ٢ - الرسالة الشرفية فى علم النسب التأليفية والأوزان الإيقاعية .

ويعتبر هذا الكتاب هو والكتاب الأول أهم مصنفات صفى الدين وسنعود للحديث عن كل منهما فيما بعد .

الفنية التي يمكن الانتفاع بها في أنواع الضرب والعزف
والألوان الإيقاع وأصناف الغناء والنغم .

وهو أول كتاب صنفة صفى الدين وقد انتهى منه
حوالى عام ١٢٥٢ م وأوله : « الحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين . أما بعد فقد
أمرني من يجب عليّ امتثال أوامره أن أضع له مختصراً
في معرفة النغم ، ونسب أبعاده ، وأدواره ، وأدوار
الإيقاع على نهج يفيد العلم والعمل . فبادرت إلى
ما أمر به ممثلاً ، وبينت ما سنخ للخاطر فيه ما إذا
أمكن الناظر فيه أولاً على وتر واحد لثلاث يتعذر على
المبتدئ استخراج رتبته فصولاً » .

واختتم الكتاب بقوله : « ولنكتف بهذا القدر في
هذا الفن ونختتم الكتاب به . والحمد لله وحده وصلواته
على سيدنا محمد وآله الطاهرين » .

وقد قسم الكتاب إلى خمسة عشر فصلاً ، هي :

الفصل الأول : في تعريف النغم وبيان الحدة
والثقل .

الفصل الثاني : في تقسيم اللسطين (١) .

الفصل الثالث : في نسب الأبعاد .

الفصل الرابع : في الأسباب الموجبة للتنافر .

الفصل الخامس : في التأليف الملائم .

الفصل السادس : في الأدوار ونسبها .

الفصل السابع : في حكم الوترين .

الفصل الثامن : في تسوية أوتار العود واستخراج

الأدوار .

الفصل التاسع : في أسماء الأدوار المشهورة .

الفصل العاشر : في تشارك نغم الأدوار .

الفصل الحادي عشر : في أدوار الطبقات .

الفصل الثاني عشر : في الاصطحاب غير المعهود .

الفصل الثالث عشر : في الإيقاع .

الفصل الرابع عشر : في تأثير النغم .

الفصل الخامس عشر : في مباشرة العمل .

وعلى غرار من سبقه من كتاب العرب نرى
صفى الدين في كتاب الأدوار يعبر عن النغمات
بالحروف الأبجدية وفق ترتيبها . وكان أول عهدنا بذلك
في لإحدى مخطوطات أبي يوسف يعقوب الكندي في
« رسالة في خبر تأليف الألحان » . ويصف الكندي
السلم العربي في هذه الرسالة مشتملاً على سبع نغمات
أساسية ثم على اثنتي عشرة نغمة ذوات أنصاف الأبعاد
الطينية ، وفقاً لحساب فيثاغورس . وقد استخدم في
التعبير عن تلك النغمات الحروف الأبجدية حسب ترتيبها
من أ إلى ل (١) .

أما السلم الموسيقي كما أورده صفى الدين في كتاب
الأدوار فإنه يشتمل على سبع عشرة نغمة ، وهو
نفس التقسيم الذي أورده أبو نصر الفارابي في كتابه
« الموسيقى الكبير » والشيخ الرئيس أبو علي بن سينا
في كتابيه « الشفاء » و « النجاة » ، ومن جاء بعدهما من
كتاب العرب .

ومنطقة الأصوات كما أوردها صفى الدين في
كتاب الأدوار تشتمل على ديوانين (أوكتافين) يعبر
عن نغمات كل منهما بحروف أبجدية أو رموز خاصة
كالآتي :

الديوان الأول : ا - ب - ج - د - هـ - و

ز - ح - ط - ي - يا - يب - يج - يد - يه -
يو - يز - يج .

الديوان الثاني : يح - يط - ك - كا - كب -

كج - كد - كه - كو - كز - كح - كط -

ل - لا - لب - لج - لد - له .

(١) ترجم هذه الرسالة إلى اللغة الألمانية دكتور روبرت
لاخان والدكتور محمود أحمد الحفني مع التصحيح والشرح والتعليق ،
طبع ليبزج سنة ١٩٣١ .

(١) الدساتين : مفردة دستان فارسي معرب ، معناه موضع
عق الأصباع على الأوتار ومرادفه بالعربية العتق .

ومن التدوين المتقدم يمكن تحديد كل نغمة من السبع عشرة نغمة المشتمل عليها السلم العربي وجوابها بحسب ما أورده صفى الدين فى كتاب الأدوار ، كالاتى :

النغمة	جوابها
أ	يح
د	كا
ز	كد
ى	كز
يج	ل
يو	لج
ب	يط
هـ	كب
ح	كه
ما	كح
يد	لا
يز	لد
ج	ك
و	كج
ط	كو
يب	كط
يه	لب
يج	له

ولصفى الدين فضل الأسبقية فى التدوين الموسيقى إذ كان أول من اهتدى إلى طريقة لتدوين القيمة الزمنية للنغمات الموسيقية : ذلك بأن الحروف الأبجدية التى استخدمها واستخدمها علماء العرب قبله فى التعبير عن تلك النغمات كانت تحدد بحسب ترتيبها قيمة حدة النغمات بنسبة بعضها لبعض : فاذا قلنا مثلاً فى المقطع أ - ب - ج - د أن نغمة أ هى الأولى فان نغمة ب

تكون الثانية ، وتكون ج النغمة الثالثة والحرف د رمز للنغمة الرابعة . ويكون ذلك مثل قولنا فى المصطلحات الموسيقية الحديثة دو - رى - مى - فا . وهذه التسمية وتلك إن دلت على توالى حدة النغمات بنسبة بعضها لبعض ، فليس لها أن تدل على أية قيمة زمنية لكل من تلك النغمات . ولقد ظل إمكان التعبير عن هذه القيمة الزمنية لغزاً تعذر على أوروبا الاهتداء إلى حله حتى القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر حيث بدئ برسم علامات مختلفة تعبر كل منها عن القيمة الزمنية النسبية ، بأن تدل كل علامة منها على ضعف زمن العلامة التى تليها .

وها نحن نرى عبقرية صفى الدين تكتب الأسبقية للعرب فى هذا المجال ، فقد اهتدى هذا الفنان الفذ إلى إمكان التعبير عن النسبة الزمنية للنغمات باستخدام الأرقام الحسابية مع الحروف الأبجدية . فاذا كان الحرف الأبجدي يدل على النغمة من حيث حلتها بالنسبة للنغمات الأخرى فان الرقم الحسابى المصحوب به الحرف يدل على القيمة الزمنية بالنسبة لتلك النغمات . أما الأدوار التى ذكرها صفى الدين فى هذا الكتاب فعددها اثنا عشر دوراً ، هى :

- ١ - عشاق : الدائرة الأولى
- ٢ - نوى : » الرابعة عشر
- ٣ - بوسليك : » السابعة والعشرون
- ٤ - راست : » الأربعون
- ٥ - عراق : » التاسعة والستون
- ٦ - أصفهان : » الرابعة والأربعون
- ٧ - زيرا فكنند : » التاسعة والخمسون
- ٨ - بزرک : » السبعون
- ٩ - زنکله : » الثانية والأربعون
- ١٠ - راهوى : » الخامسة والستون
- ١١ - حسینی : » الثالثة والخمسون
- ١٢ - حجازی : » الرابعة والخمسون

تقريباً . ومن هذا الكتاب نسخة محفوظة في دار الكتب
المصرية برقم ٣٤٩ فنون جميلة بخط عبد الكريم بن
السهورردى كتبت عام ٧٢٧ هـ . وهى نسخة لا شك
ذات قيمة تاريخية كبرى فقد كتبت ولما يمض على
وفاة المؤلف أكثر من أربع وثلاثين سنة .

* * *

وقد امتد العمر بصفى الدين إلى الثمانين عاماً ،
حيث كانت وفاته ببغداد فى ١٨ صفر سنة ٦٩٣ هـ :
الموافق ١٨ كانون الثانى (يناير) سنة ١٢٩٤ :
رحمه الله .

ويعتبر كتاب الأدوار لصفى الدين ثروة فنية نادرة
يعتز بها التراث العربى . ولهذا المصنف شهرة بزفها غيره
من مؤلفات العرب الأقدمين ، وهو بلا ريب أكثرها
انتشاراً بل ويعتبر من أهم المراجع التى لا يصح أن
يجعلها عالم موسيقى ، برغم أن هذا الكتاب كما أشرنا
من بواكير مصنفات صفى الدين .

ويتوافر من كتاب الأدوار نسخ خطية عديدة
محافظة فى المكتبات العامة المختلفة . وقد يعتبر أهم هذه
الخطوط جميعاً من الناحية التاريخية النسخة المحفوظة
بمكتبة نور عثمانية باستانبول تحت رقم ٣٦٥٣ وهى
مؤرخة عام ٦٦٣ هـ أى قبل وفاة مؤلفها بثلاثين عاماً

